

## المحاضرة الأولى

### مدخل عام

أولاً: مصادر دراسة التاريخ القديم .

من العوائق التي تصادف الباحث في تاريخ وحضارة المغرب القديم قلة المصادر التاريخية الكلاسيكية منها والأثرية، وان وجدت فهي قليلة لا تشفي غليل الباحث ولا تغطي كامل مراحل التاريخ القديم ، بالإضافة إلى أنها مصادر إغريقية ولاتينية خالية من الموضوعية التاريخية في غياب المصادر المحلية، الأمر الذي يحتم على الباحث الاستعانة بالمصادر الأثرية لتأكيد أو نفي الأحداث التي ذكرتها المصادر الكتابية ، وأمام هذا النقص الكبير للمصادر القديمة يعتمد الباحث في دراسة تاريخ المنطقة على الكثير من التحليل والمقارنة للوصول إلى الحقيقة التاريخية ومن المصادر التي تساعدنا في دراسة تاريخ المغرب القديم نذكر:

1- المصادر المادية الأثرية: وتشمل جميع المخلفات المادية التي تركها الإنسان في الماضي القريب أو البعيد، حيث تعتبر الآثار والمخلفات الإنسانية بمختلف أنواعها إحدى أهم المصادر والشواهد التاريخية التي لا يمكن الاستغناء عنها لمعرفة مختلف الجوانب الحضارية لمختلف شعوب العالم القديم بشكل عام ودراسة تاريخ المغرب القديم على وجه الخصوص، وهي من المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لتغطية الفراغ الذي تركته المصادر الكلاسيكية أو غيبته لسبب أو لآخر، ومن خلال المصادر المادية يمكن تأكيد أو نفي ما ذكره في المصادر الكتابية اللاتينية والإغريقية للوصول إلى الحقيقة التاريخية ومعرفة تاريخ المغرب القديم بمختلف أطواره بكل موضوعية وبعيدا عن الذاتية .

ومن ابرز المصادر الأثرية التي يرجع إليها الباحث لدراسة تاريخ المغرب القديم، نذكر النقوش اللاتينية التي كثيرا ما نجدها تحمل كتابات عن الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية وتنظيم المجتمع القديم في المدن والأرياف، وذكر مختلف القوانين التي كانت تنظم الحياة بصفة عامة كما تذكر مختلف العلاقات التي كانت تجمع شعوب المتوسط بالعالم الخارجي وهي تساعد الباحث كثيرا في معرفة الجوانب الحضارية وتنظيم المجتمعات في التاريخ القديم .

نذكر أيضا المسكوكات(العملة) وهي من المصادر المادية المهمة لدراسة تاريخ المغرب القديم فهي تحمل في طياتها معطيات تاريخية ومعالم اقتصادية و تجارية هامة إذ تعطينا صورة عن أهم المنتجات الموجودة والمنتشرة وأشهر الملوك وتبرز لنا أهمية

الحيوان في حياة الفرد المغربي القديم وذلك من خلال رسم أشياء مهمة على وجه العملات النقدية النحاسية والبرونزية .

2- المصادر الكلاسيكية الكتابية (اللاتينية و الإغريقية): من أهم المصادر التاريخية التي تساعد الطالب في تقصي الحقيقة التاريخية لبلاد المغرب القديم نذكر:

- هوميروس **Homère**: شاعر إغريقي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، ينسب له مؤلفين مشهورين هما الإلياذة والأوديسة، حيث يسرد في الإلياذة مختلف الأحداث والبطولات التي كانت عند الإغريق والحروب وفتح طروادة وتدميرها والحرب التي كانت بسبب التجارة والسيطرة البحرية على الجزر في البحر الإيبي وعلى سواحل الأناضول وشمال بلاد الإغريق ، ويسرد في الأوديسة قصة أبطال إغريق ويصف فيها السفن ومختلف الأحداث التي لاقاها الأبطال الإغريق في البحر كما يصف فيها حياة البحارة في العهود القديمة والمعانات التي يلاقونها في البحر.

- هيرودوت **Hérodote** 485-425 ق.م: مؤرخ إغريقي من مواليد هاليكارناسوس Halycarnase، والذي خصص حيزا كبيرا في مؤلفه التواريخ Histories لبلاد المغرب القديم (ليبيا) ، خاصة في كتابيه الثاني والرابع وتحدث عن رحلات الفينيقيين البحرية ومعارفهم البحرية وسفنهم واستكشافاتهم وخبراتهم في علم الفلك وتعاملهم التجاري مع الليبيين القدامى وغيرهم من الشعوب الأخرى، كانت قورينة بليبيا هي آخر محطات رحلة هيرودوت و منها عاد إلى موطنه واستقر في أثينا منذ 447 ق.م لينجز مؤلفه الشهير، لكن الحياة لم ترق له فيها فغادر أثينا إلى مدينة ثوري وعاش هناك، فيما عدا رحلة واحدة إلى أثينا، حتى وفاته سنة 424 ق.م.

- توكوديدس **Thucydide**: 469-400 ق.م مؤرخ إغريقي كتب مؤلفة تاريخ الحرب البولوبونيزية وهو من المؤرخين الإغريق الأوائل الذين أعطوا للعوامل الاقتصادية والاجتماعية أهمية خاصة، وقد تكلم كثيرا عن العلاقات بين أثينا واسبرطة أثناء الحرب بينهما و أشار في مؤلفه إلى حاجة سكان أثينا إلى القمح الأمر الذي أخذهم إلى الحرب في الداخل والخارج ويتحدث فيه عن الحروب التي حدثت في بلاد الإغريق.

- بوليبيوس **Polybe** 210-136 ق.م : مؤرخ إغريقي ولد ب أركاديا Arcadie تولى منصب قائد الخيالة ضمن التحالف الإغريقي الذي وقف ضد التوسع الروماني، كتب مؤلفه التاريخ العام وقد تحدث فيه بشكل مفصل عن الصراع القرطاجي الروماني خاصة وانه

كان احد الشهود على تدمير قرطاج سنة 146ق.م ، وتعتبر كتاباته من المصادر المهمة لدراسة تاريخ المغرب القديم .

- **سترابون Strabon**: جغرافي عاش بداية القرن الأول ميلادي صاحب كتاب الجغرافيا ولد في أماسيا على سواحل بحر مرمرة حوالي 63ق.م وتوفي سنة 25م وهو من أصول إغريقية ، يعتبره الكثير من المؤرخين على انه إغريقيا واصل تعليمه بروما حوالي 44ق.م وكان على دراية كبيرة وواسعة بتاريخ روما.

- **أبيانوس Appien** 95-165م : مؤرخ إغريقي تناول تاريخ تأسيس قرطاج والحروب الأهلية للجمهورية الرومانية، وصف في كتاباته معارف الملاحين الليبيين والأيبيريين القدامى ومدى معرفتهم للبحرية كما وصف مرفأ قرطاج التجاري و الحربي وشبه قرطاج بالسفينة الراسية.

- **بلين القديم Pline l'ancien**: مؤرخ لاتيني روماني يعرف أيضا باسم بليينوس الأكبر أو الكبير تميزا له عن ابن أخيه بليينوس الصغير أو الشاب، ولد في غاليا حوالي 23 للميلاد كان ضابطا من طبقة الفرسان بإفريقيا شغل مناصب في عهد الإمبراطور فسباسيان توفي سنة 79 للميلاد أثناء رصد ظاهرة انفجار البركان الشهير الذي حدث في روما .

- **ديودور الصقلي Diodore de Sicile** : مؤرخ لاتيني عاش في القرن الأول قبل الميلاد 90-20ق.م ، كتب موسوعته التاريخية المعروفة باسم مكتبة التاريخ او خزانة التاريخ بين سنتي 60 و30 قبل الميلاد والتي فقدت منها كتب كثيرة كانت تتالف تقريبا من 40 كتابا لم يبق منها سوى 15 كتابا وبعض الاجزاء المتفرقة يتناول في المجلد الأول تاريخ مصر طروادة إلى موت الإسكندر الأكبر، أما الثالث فإنه يكتنف أحداث الفترة التي أخذت مجراها من موت الإسكندر إلى نحو عام 60 قبل الميلاد، ويرجع سبب تسمية الموسوعة بهذا الاسم (Bibliotheca Historica) لحقيقة أنه جمع الحوادث والمجريات التاريخية من مؤلفات كُتِبَ آخرين، فكانَ موسوعته مكتبة، وقضى ثيودور الصقلي تقريبا 30 عامًا في تأليف هذه الموسوعة.

- **ساليستيوس Saluste**: من أشهر مؤرخي الإمبراطورية الرومانية، اسمه الكامل غايوس كريسبوس ساليستيوس ولد حوالي 86ق.م كان مقربا لقيصر، شغل منصب بريطور سنة

48ق.م كتب مؤامرة كاتيلينا حوالي 42ق.م والحرب اليوغرطية سنة 38ق.م ثم التواريخ توفى سنة 35ق.م.

- تيت ليف **Tite-live** : مؤرخ لاتيني مشهور ولد في روما بايطاليا سنة 59 ق.م وتوفي 17 ق.م ألف كتاب العشریات في التاريخ الروماني وقد أشاد فيه بقوة و عظمة الإمبراطورية الرومانية وتكلم كثيرا عن البونيقين واهم الصفات التي كانوا يتصفون بها وتميزهم عن غيرهم من شعوب المتوسط، وقد تحدث عن التنافس التجاري الذي كان بين قرطاج ومختلف شعوب المتوسط خاصة التنافس التجاري الذي كان مع الرومان.

- جوستان **justin/justinus** : مؤرخ لاتيني عاش في القرن الثاني للميلاد في عهد الانطونيين الذين حكموا ما بين 96م و 192م وهو المعروف برواية اسطورة عليسة ، من ابرز مؤلفاته التاريخ العالمي اوردها في اربعة واربعين مجلدا.

- بوركوب **procope** : لم تصلنا معلومات وفيرة عن حياة بوركوب القيصري أو عن عائلته سوى ما نعرفه عنه من خلال مؤلفاته، وهو مؤرخ بيزنطي ولد في قيصرية ( فلسطين ) نهاية القرن الخامس ميلادي أو في بداية القرن السادس ميلادي، لكن الظاهر أنه من عائلة ارستقراطية غنية ذات نفوذ كبير في قيصرية بفلسطين، الأمر الذي ساعده على الترحال والتعلم والتكوين . وقد كتب مجموعة من الكتب ذكر فيها بلاد المغرب القديم ومختلف الاحداث التي جرت فيها خلال القرن الخامس و السادس للميلاد وبذلك فهو من المصادر الرئيسية لكتابة تاريخ المغرب في الفترة الوندالية و البيزنطية .

- فيكتور دوفيتا **victore de vita** : حسب بول أوجي (Paul Hugé) فان فيكتور دي فيتا ولد سنة 455م، وهو أحد أساقفة مدينة فيتا (Vita) والتي نجهل موقعها بالتحديد، وترجح الروايات التاريخية أنها تقع في مقاطعة البيزاكينا، تم نفيه من طرف الملك الوندالي هنريك (Henric) فالتجأ إلى القسطنطينية وهناك ألف كتابه وعاد إلى بلاد المغرب واستقر في قرطاج في عهد الملك قونداموند (Ghoundamond) ، ليتم نفيه مرة أخرى في عهد الملك تراساموند (Trassamond) إلى جزيرة صقيلية و توفي هناك و يبقى تاريخ وفاته مجهول ، كتب متاب الاضطهاد الوندالي للمسيحيين في إفريقيا وهو عبارة عن

رسائل استغاثة يحكي فيها مختلف الاوضاع التي كانت تعيشها بلاد المغرب و المسيحيين في الفترة الوندالية .

- كوريبوس **corripe** : الاسم الكامل لكوريب هو فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس ( Flavius Cresconius Corripus ) لا نعرف الكثير عنه، غير أنه أحد أساقفة بلاد المغرب، عاش خلال فترة حكم الإمبراطور جوستينيان و جوستان الثاني، نجد اسمه في مواضع أخرى باسم كوريبوس النحوي الإفريقي (Corripus Africanus Grammaticus) ويظهر من ذلك أنه ربما شغل منصب مدرس للنحو في العاصمة قرطاج . ومن اشهر مؤلفاته التي تساعدنا في دراسة تاريخ بلاد المغرب القديم هو كتاب ملحمة الحرب الليبية الرومانية وهي مجموعة من الاشعار تحكي الصراع الذي دار في بلاد المغرب بين المور و البيزنطيين خلال القرن السادس للميلاد .

## ثانيا: بلاد المغرب القديم – البنية الطبيعية والتركيبية البشرية –

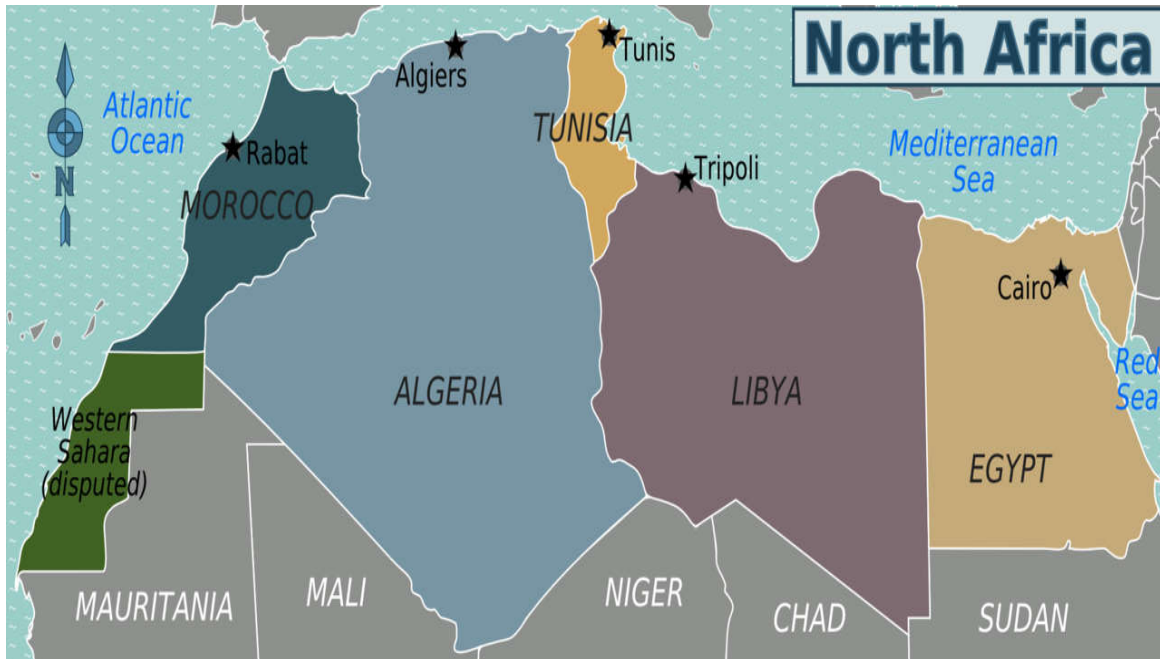
### 1- البنية الطبيعية:

أ- الموقع الطبيعي والفلكي: تقع بلاد المغرب القديم شمال القارة الإفريقية محصورة بين غربي نهر النيل شرقا والبحر المتوسط شمالا و المحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى جنوبا، و هي المنطقة التي تقابل السواحل الجنوبية لدول جنوب غرب أوروبا ابتداءا من البرتغال فإسبانيا على مضيق جبل طارق حتى بلاد اليونان في القسم الشمالي الشرقي للبحر المتوسط، تنحصر المنطقة بين دائرتي عرض 18° و 38° شمال خط الاستواء وبين خطي طول 25 شرقا و 17 غرب خط غرينيتش.

تدخل الصحراء بما فيها الطاسيلي و الهقار ضمن بلاد المغرب أين تشكلت محطات الانتشار البشري الذي زحف شمالا لتعمير بلاد المغرب أثناء العصر الحجري الحديث ( النيوليتي ) والذي عرف فيه الإنسان أوج تقدمه في عصور ما قبل التاريخ انطلاقا من الصحراء ، التي بدأت تعرف الجفاف تدريجيا منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد و بدأ مع ذلك نزوح المجموعات البشرية نحو الشمال فرارا من الجذب واستقر بعضها في مناطق محدودة من واحات الصحراء التي وإن كانت تتوغل جنوبا حتى نهر النيجر، فإنها تلامس البحر المتوسط في الشمال، خاصة عند الساحل الليبي حول خليج سرت.

كانت الصحراء تبدو فاصلة لبلاد المغرب عن بقية القارة الإفريقية، إلا أنها شكلت قديما همزة وصل وطيدة، خاصة أن ظروف المناخ و الغطاء النباتي في القديم كانت مغايرة لظروف الصحراء في الوقت الحاضر، إذ أن وجود المجاري المائية وإن كانت جافة فهي دليل على أنها كانت تنال كمية أكبر من الأمطار مما هي عليه الآن، لأن درجة الرطوبة كانت أكثر ارتفاعا.

تكون بذلك بلاد المغرب شديدة القرب من القارة الأوروبية و لا يفصلها عن شبه الجزيرة الايبيرية سوى مضيق جبل طارق (أعمدة هرقل) بـ ثلاثة عشر كلم ، وعن إيطاليا عبر مضيق صقلية بمائة واربعون كلم ، كما لا تفصل سواحل برقة الليبية جزيرة كريت اليونانية سوى مسافة ثلاث مائة كلم ، و من جهة أخرى تطل بلاد المغرب على المحيط الأطلسي الذي سهل تواصلها مع غرب وشمال أوروبا وكذلك مع سواحل إفريقيا الغربية. أطلقت عدة تسميات على منطقة بلاد المغرب القديم قبل هذه التسمية التي تعتبر حديثة بالمقارنة بالأسماء التي عرفت بها المنطقة ، عرف المصريون بلاد المغرب وسكانها بأسماء عديدة وُجدت في النصوص الهيروغليفية المصرية القديمة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، وهي: قبائل المشوش، والليبو، التمحو، التحنو، وهي قبائل ليبية كبرى تواجدت غرب النيل وتفاعلت مع أهله .



خريطة دول شمال افريقيا

ب- السطح: إذا تأملنا في الخريطة الطبيعية لبلاد المغرب نجد تباينا بين الشمال و الصحراء، وإذا كانت ظاهرة الارتفاع تطغى على السطح في الجزء الشمالي (بلاد الأطلس) فإن ذلك لا يعني خلوها من السهول المتنوعة، وإذا كان التكوين الحديث يطغى على تضاريس الشمال، فإن الصحراء تنتهي إلى الهضبة الإفريقية قديمة التكوين، وإذا تتبعنا تضاريس بلاد المغرب انطلاقا من الساحل نحو الداخل فإنه يمكننا التعرف على المظاهر التالية :

- التضاريس (الجبال ، الهضاب ، السهول )

- الجبال: يُشكل الأطلس التلي والصحراوي هيكل التضاريس في شمال بلاد المغرب وهي موازية للساحل و تقف دون التوغل إلى الداخل فيما عدا مجاريها المائية التي يشكل تتبعها منافذ ونقاط اتصال بين الساحل وداخل الإقليم، حيث نجد أن الجبال في الغرب تحتل معظم مساحة البلاد إذ تُميز في الشمال جبال الريف التي تشكل قوسا يطل على البحر المتوسط ، ويتربع الأطلس الأوسط جنوبها ، أما الأطلس الكبير أو الأعلى فهو الأكثر ارتفاعا في بلاد المغرب، بينما يمتد الأطلس الصغير ذو التكوين القديم بالجنوب وينخفض باتجاه الغرب حيث يتميز في الوسط سلسلتين جبليتين .

السلسلة التلية وتُطل على البحر وتترك مجالا ضيقا للسهول الساحلية أو تصطدم بالبحر المتوسط تبدأ غربا بجبال تلمسان وفي جنوبها جبال الضاية وسعيدة ثم جبال الونشريس والظهرة و زكار التي تتميز بشدة التواءها، وتتواصل بجبال الأطلس البليدي ثم جرجرة ، ثم جبال البابور فجبال القل ثم إيدوغ (بين عنابة وسكيكدة) وإلى الجنوب توازيها جبال التيطري، فالبيبان ثم جبال نوميديا وقسنطينة وسوق أهراس وتتخلل هذه السلسلة التلية سهول داخلية

أما السلسلة الأطلسية الصحراوية فتمتد جنوب الهضاب العليا في كتل موازية للأطلس التلي تقريبا ويمكن تقسيمها إلى : سلسلة الأطلس الصحراوي الغربية بها جبال القصور و عمور وأولاد نايل أما الشرقية فتتكون من جبال الأوراس والنمامشة وبين القسمين تضر الجبال كثيرا فتبدو جبال الزاب، قبل أن تختفي عند عتبة بسكرة التي تسمى عتبة الصحراء وهي ممر طبيعي بين الشمال و الجنوب ويعود الارتفاع فجأة شرق بسكرة لتبدأ الأوراس وإذا كانت السلسلتان تتجهان متفرقتين من الغرب لتلتقيا في الشرق، فإن جبال الأطلس الأوسط في المغرب وجبال الحضنة في الجزائر تربط بين هاتين السلسلتين من الشمال إلى الجنوب لتحصر الهضاب العليا وتقسّمها إلى هضاب عليا غربية واسعة وشرقية ضيقة وفي الشرق تلتقي السلسلة التلية متمثلة في جبال الخمير و

مقعد، بالسلسلة الأطلسية متمثلة في جبال الظهيرية ويتواصل التحام السلسلتين حتى الرأس الطيب حيث تنخفض لتصبح تلالا لا يتعدى ارتفاعها 300 متر أما في ليبيا فلا يظهر أثر للسلاسل الجبلية الساحلية ماعدا في الشمال إذ تبدو كتلا منفردة قريبة من الساحل وهي أقرب إلى الهضاب منها إلى الجبال، وتتمثل في جبال نفوسة غربا والجبل الأخضر شرقا.

- الهضاب: تختلف فيما بينها من حيث الارتفاع الاتساع و التكوين :

حيث تُميز الهضبة المراكشية بين جبال الأطلس الأوسط والساحل الأطلسي جنوب نهر سبو، وهي هضاب قديمة تغطيها صخور رسوبية يصل ارتفاعها إلى 1600 متر، كما تميز هضاب حوز مراكش وتادلة و الهضبة الشرقية التي تعتبر امتدادا للهضاب العليا في الجزائر، وفي الوسط تمتد الهضاب العليا محصورة بين سلسلي الأطلس التلي و الصحراوي بمتوسط ارتفاع يصل إلى 1000 متر وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي على مسافة 800 كيلومتر وتنقسم إلى غربية واسعة وشرقية ضيقة ، وتتميز بوجود بحيرات ضحلة مالحة تعرف بالشطوط وهي : الشط الغربي و الشرقي و الحُضنة أما في الشرق فتمتد السباسب العليا والسفلى من جبال الظهرة منحدره في اتجاه الشرق لتتواصل بسهل الساحل التونسي.

- السهول : يمكن تمييز نوعين من السهول في الشمال سهول ساحلية و أخرى داخلية حيث:

تتميز السهول الساحلية بشساعتها وامتدادها بشكل كبير في الساحل الأطلسي للمغرب الأقصى، وتكون ضيقة ومتقطعة بالجبال في الساحل المتوسطي وأهمها من الغرب إلى الشرق : ( سهول الساحل الأطلسي وهي سبو و دو كالة والسوس، و سهول الشمال الساحلي المتوسطي: وهي وهران و متيجة و عنابة نجدها ضيقة ومتقطعة بالجبال، و سهول الشرق الساحلية المتوسطية: وهي ضيقة ومتقطعة في الشمال الشرقي مثل بنزرت بتونس ، لكنها أكثر اتساعا في الشرق ، سهول ليبيا الساحلية : أهمها سهول طرابلس و جفارة و البريقة ودرنة على خليج السرت ) ، و من حيث التكوين فإن هذه السهول رسوبية خصبة أغنتها التربة التي نقلتها الأمطار من الجبال المحاذية ويعود تكوينها إلى الزمن الجيولوجي الرابع.

أما السهول الداخلية تنحصر بين الجبال وهي أكثر ارتفاعا من السهول الساحلية أهمها من الغرب إلى الشرق: (سهول فاس، مكناس، مراكش وملوية العليا والسفلى بغرب بلاد المغرب الاقصى ، سهول تلمسان، تيارت ، سيدي بالعباس وعين بسام

وقسنطينة في الوسط، سهول غار الدماء و باجة أو سهول الدخلة في الشمال الشرقي حيث يلتقي واد مجردة بواد ملاق)، وتتميز هذه السهول باستقرار تربتها ولكنها أقل خصوبة من السهول الساحلية .

أما تضاريس الصحراء إلى الجنوب من الأطلس الصحراوي، فتمتد الصحراء مشكلة عمق المجال المغربي بتوغلها في القارة السمراء ويغلب عليها طابع الرتابة مع احتوائها لكل أشكال التضاريس: الأحواض و المنخفضات و هي مساحات شاسعة تغطيها الكثبان الرملية ترسبت بفعل الحت والنقل أهمها العرق الشرقي والعرق الغربي وعرق مرزوق أما السهول الصحراوية وتسمى الرق و يغطيها الحصى نتيجة الرواسب الصخرية بسبب السيول الجارفة قديما .

أما الهضاب الصحراوية تشغل أكبر مساحة من الصحراء وهي نوعان: الحمادة وهي هضاب جيرية تنحدر من سفوح الأطلس الصحراوي الجنوبية مثل تادمايت و قير والحمادة الحمراء، وهضاب رملية مثل الطاسيلي حفرتها الرياح عن طريق الحت أما الجبال فنجدها تشغل مساحة قليلة وهي بركانية قديمة التكوين على شكل قباب بالورية فوق سطح هضاب أقديمة بدورها ، أهمها الهقار وجبل العوينات وجبال تبستي بليبيا.

- المناخ والنبات : تأثر مجموعة من العوامل في مناخ بلاد المغرب مثل الموقع الفلكي والجغرافي، التضاريس المتمثلة في جبال الشمال وامتداد الصحراء في الجنوب، اختلاف مراكز الضغط الجوي، وأثر الرياح الدائمة، الأمر الذي يجعل مناخ بلاد المغرب متجاذبا بين الرطوبة والجفاف فتميز به فروقا مناخية بين الشمال والجنوب فيتزايد التساقط بالاتجاه شمالا نحو المناطق الساحلية عموما ويتناقص بالاتجاه نحو الداخل ليسود المناخ القاري، وفي الجنوب يزداد المناخ تطرفا لانعدام المسطحات المائية والغطاء النباتي، إذ يعتبر الجفاف أهم ظواهر الصحراء لأنه هو الذي أنتجها، أما اختلاف الحرارة فيتمثل في اتساع المدى الحراري كلما ابتعدنا عن الساحل وتوغلنا داخل القارة ليبيلغ التطرف الحراري مداه في أعماق الصحراء التي تهب منها رياح السموم نحو الشمال منذ أواخر الربيع.

يتجلى الاختلاف وسوء التوزيع في كمية الأمطار التي تتلقاها بلاد المغرب، فإذا كان غربها يتلقى أكبر الكميات بفعل المحيط الأطلسي والرياح الغربية والشمالية الغربية فإن مناطق الوسط والشرق، بالإضافة إلى ليبيا، تتلقى كميات أقل وهي محصورة في المناطق الشمالية وخصوصا الساحلية منها، وقد انعكس هذا الاختلاف على المياه الجارية ، ففي

حين نجد أن وديان الجهة الغربية هي أشبه بالأندلس فإن أودية الوسط و الشرق تتراوح بين الجريان شتاء والجفاف صيفا أما أودية الصحراء فهي نادرة الجريان وتعرف بالأودية الكاذبة.

و يبرز تأثير المناخ في تنوع الغطاء النباتي ببلاد المغرب الذي يتدرج من الغابات المتنوعة في جبال الأطلس، إلى الحشائش في إقليم الهضاب العليا La steppe إلى النباتات القصيرة والمتباعدة في بعض مناطق الصحراء مثل منخفضات العرق ، حيث انعكست كميات التساقط على الغطاء النباتي الذي كان أكثر كثافة بكل مكوناته المتنوعة والمعروفة حاليا من غابات وأحراش وحشائش بالإضافة إلى أن الأنواع النباتية لم تكن مختلفة كثيرا عما هي عليه حاليا.

أما الأمطار فقد كانت في الشمال مثل عهدنا متذبذبة وغير منتظمة، ويتملك القلق المزارعين في انتظارها إذا تأخرت فيلجئون إلى معبوداتهم المختلفة متوسلين إليها لتمنّ عليهم بالمطر، وقد كانت المياه نفسها محل عبادة عند الإنسان المغربي القديم لأنها أساس الخصوبة والضامن لبقاء الإنسان ونمو الزرع و الضرع ، وفي الصحراء كانت الأمطار نادرة ولكنها حين تهطل تكون على شكل وابل يكفي ليملاً الأودية الكاذبة وتفيض فتدمر ما حولها.

#### - الثروة المائية والحيوانية :

انعكس التساقط على المياه الجارية في أودية الشمال التي يمكن أن نطلق على بعضها صفة النهر وخاصة أودية المغرب الأقصى التي يصلح بعضها للملاحة في بعض أجزائها مثل: واد سيبوس( واد سبو) ويعود ذلك لتلقيها مياه الثلوج المذابة التي تشكل موردا دائما من قمم جبال الأطلس.

أما الثروة الحيوانية فقد كانت الحيوانات البرية متنوعة إذ عجت البلاد بالطرائد المختلفة وإن كانت الحيوانات قد تناقصت بفعل الانقلاب البيئي الذي حدث في الصحراء وقد كانت الحيوانات المتوحشة الكبيرة مصدر خوف لأنها كانت أخطر ما يهدد حياة السكان أما الحيوانات الصغيرة فقد شكلت موردا للقنص حتى مع امتحان المغاربة لحرفة الرعي باعتبارها من أهم الموارد الرئيسية للغذاء.

يمكن القول أن البيئة المغربية كانت بفضل عناصر مناخها من حرارة وتساقط ومياهها الجارية وغطاءها النباتي ، قد شكلت وسطا ملائما للتواجد البشري وتطوره وهذا ما أهلها لتكون من أكبر محطات التواجد البشري منذ بدايات التاريخ في الفضاء المتوسطي.

## 2- التركيبة البشرية :

1- أصل التسمية : أطلق المؤرخون تسميات عديدة للدلالة على بلاد المغرب القديم منها ليبيا، إفريقيا، البربر، الأمازيغ حيث تختلف هذه التسميات في تاريخ ظهورها، استعمالها وفي تطور مدلولها التاريخي، سنحاول إعطاء لمحة عامة عن التسميات التي أطلقت على بلاد المغرب القديم وعلى سكانه من خلال المصادر:

- ليبيا أو لوبة *libyca*: يعود مصطلح ليبيا أو الليبو إلى الجذر "ليبو" (L.B.W) ، وقد ورد في النصوص الهيروغليافية ليدل على الشعوب التي كانت تقطن غرب نهر النيل، وتكون المصادر المصرية هي أقدم الشواهد على هذه التسمية ليبيا أو لوبا ، كما ذكرت المصادر الفرعونية الشعوب الغازية لمصر ومن بينها الليبيون والمقصود هنا السكان الذين يستقرون غرب النيل.

كما ورد اسم الليبيين في التوراة كمحاربين في جيش " شيشنق ضد الملك " رحبعام (ابن الملك النبي سليمان ابن داوود) حيث جاء في سفر الوقائع أن الليبيين حاربوا ضمن جيوش الفراعنة ضد الملك رحبعام.

وقد وردت تسمية " ليبيا و الليبيين " كثيرا في المصادر الإغريقية، حيث تغنى شعراؤهم منذ أيام هوميروس بخيرات ليبيا، فكان البحارة الإيجيون والكريتيون يطلقون على السكان المحاذين للشاطئ المتوسطي اسم "ليبوس (libus) حيث ذكر هوميروس ليبيا و أهلها الذين يطغى على نشاطهم تربية الأغنام.

و ذكر هيرودوت (Hérodote) أن لوبا أو ليبيا هي القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوروبا وآسيا مؤكدا وحدة الأرض و السكان حيث يقول: " ف ساحل ليبيا الشمالي من مصر حتى رأس صوليس Cap Soleis الذي هو نهاية ليبيا، تسكنه قبائل كثيرة من الليبيين على طول امتداده، عدا الجزء الواقع في يد الإغريق و الفينيقيين " .

و استخدم بلينوس الكبير Pline l'ancien مصطلح " الليبيين " للإشارة إلى سكان شمال إفريقيا بوصف المنتجات الليبية التي تشتهر بها المنطقة.

وذكر سالوست (Salluste) سكان بلاد المغرب فقال " إن أول سكان إفريقيا الجيتوليون والليبيون وهم قوم متعجرفون يتغذون على الحيوانات المتوحشة أو حشائش الحقول على طريقة القطعان" ، غير أن حكم ساليست على سكان بلاد المغرب فهم غير صحيح ولا مبرر له سوى النظرة الاستعمارية المتجذرة في الشعوب الأوروبية القديمة عن الشعوب الأخرى .

كما تكلم فرجيل (Virgile) الذي ذكر ليبيا والدببة الليبية في ملحمة الأنياذة ، وأورد المؤرخ جوستان (Justin) مصطلح ليبيا في ذكره لهجرة الفينيقيين إلى ساحل المتوسط الجنوبي الغربي أي شمال إفريقيا موطن الليبيين.

و عثر أيضا في النقوش البونية والبنونية الجديدة استخدام تسمية ليبيا ، حيث كتبت على شكل LBT / LBY على نصب في صلامبوو في معبد الحفرة وعلى نقش لبي - بوني في مكثر بمعنى " في بلاد الليبيين " ، كذلك كتب الاسم على نقش آخر بإقليم طرابلس ما محتواه " رئيس الجيوش في بلاد الليبيين « ومنذ أواخر القرن الثالث ق م بدأ يتراجع استعمال تسمية ليبيا و الليبيين ليستبدل بتسمية جديدة هي " إفريقيا.

قد يكون أصل مصطلح ليبيا مقتبسا من اسم ملكة (اسما لملكة) لوبية أوليبية قد حكمت شعبا غرب النيل حسب أسطورة أوردها المؤرخ واللغوي علي فهمي خشيم الذي يعتقد بأن الاسم قد يكون ساميا إذ اشتقَّ من كلمة لبؤة أي أنثى الأسد ثم عُمم على المنطقة التي أصبحت تعني أرض الأسود.

- إفريقيا Africa: وهي التسمية الأولى التي استعملها الرومان و أطلقوها في البداية على أملاك الدولة القرطاجية، فقد لُقّب سيبيون بالإفريقي Africanus Scipion ، كما وصف كاتو Cato في مرافعته لإقناع مجلس الشيوخ الروماني بضرورة تدمير قرطاجة التين الذي حمله منها بالتين الإفريقي Ficos Africanus ، ثم اتسع مدلول التسمية تدريجيا ليشمل كل الشمال الإفريقي من طرابلس حتى المحيط الأطلسي ، ثم أطلق على كامل القارة الإفريقية

أما أصل تسمية افريقيا يمكن أن تكون مشتقة من جذر لبيبي تفرعت منه كلمات عديدة من إفري Ifri التي تعني الكهف ، و أفر Afer تعني سكان الكهوف، و إفرو Ifru وهو اله محلي ورد اسمه على نقيشة كتبت باللاتينية وجدت بسيرتا.

- البربر berbère: أول من استعمل هذا المصطلح وساهم في انتشاره هم العرب المسلمون الذين سمو المنطقة وسكانها بالبربر les berbères ، يذكر ابن خلدون أن البربر ينتسبون إلى جدهم الأول إفريتش الذي قال عندما سمعهم يتحدثون ما "أكثر بربرتكم " بمعنى كثرة الأصوات غير المفهومة، ومنها جاء مصطلح البربر وهذه التسمية تختلف في أصلها و مدلولها وتاريخ استعمالها عن مصطلح باربار Barbarus المشتقة من الكلمة اللاتينية Barbarus بمعنى همجي والتي أطلقها الرومان للدلالة على الأهالي الذين بقوا مستعصيين على الحضارة اللاتينية وهم شعوب أوروبا القديمة.

- الأمازيغ Mazigh: هو اسم أطلقه المغاربة القدامى على أنفسهم وهو جمع ومفرده إيمازيغ ومؤنثه تمازيغت ومعناه الأحرار أو النبلاء، وجذر هذا المصطلح MZK أو MZG و الذي جعل بعض المؤرخين يذهبون إلى اعتباره الاسم الحقيقي لبلاد المغرب نظرا لتواجده في العديد من أسماء القبائل وفي عدة مناطق من بلاد المغرب .  
وإذا كان مصطلح مازيغ MZK أو MZG قد تعددت أشكاله في بلاد المغرب نفسها فمصدره نفس الجذروه دلالة واحدة، ففي غرب فزان هو نفسه " إيموزاغ Imusagh وفي القبائل والريف والأطلس نجد إمازيغن Imazighen وفي الهقار عند الطوارق نجد إيموشار Imoshar

أما ابن خلدون فقد نسب سكان بلاد المغرب القديم إلى أبيهم مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام .

2- أصل السكان : ذكر هيرودوت أن الليبيين الذين يعيشون في قارة ليبيا مع الأثيوبيين في جنوبها أصليون، أما الفينيقيين والإغريق فهم وافدون، وقد صنفهم على أساس نمط معيشتهم إلى ليبيين رعاة متنقلين وهم يشكّلون قبائل عديدة تعيش في المنطقة الممتدة بين مصر شرقا وبحيرة تريتون غربا ، أما الليبيين المزارعين ساكني البيوت فينتشرون في المنطقة الممتدة غرب بحيرة تريتون حتى رأس سولويس المطل على المحيط الأطلسي.

وذكر سالوست salluste ان الليبيين مع الجيتول من سكان إفريقيا الأصليين أما الميديين والأرمن والفرس الذين جاؤوا من اسبانيا بعد موت قائدهم هرقل ، فامتزج الميديون والأرمن بالليبيين وهم النوميدي ، بينما امتزج الفرس بالجيتول وهم المور هناك من يرى إمكانية تصنيف البربر كحاميين ساميين وهم سكان البحر المتوسط تنوعت عنهم السلالة الصحراوية بينما تمثل السلالة الإثيوبية منهم صفات وسطية.

ومن الجانب الأثري والأنثروبولوجي لا يستبعد الكثير من الباحثين أن يكون الليبيون والبربر من أصل إنسان مشقى العربي والإنسان القفصي الذين وجدا في المنطقة منذ عصر الحجارة المصقولة وعاشا فيها طوال فترة العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث ، ففي العهد القفصي اكتسحت أقوام من جنس المتوسط شمال إفريقيا والتحق بهم صحراويون رُحّل وبعض الزنوج بأعداد قليلة، ومن الممكن أن الاختلاط العرقي خلال العصر الحجري الحديث وما تلاه قد طبع سكان بلاد المغرب القديم.

